سلسلة:



النصح المجود في الرد على أبي يحيى سامح بن محمد

(الحلقة الثامنة)

الكشف القيم

لما افتراه أبو يحيى على ابن كثير وابن القيم

أبو حمزة

مدحت العسقلاني

أبو جويرية

محمد بن عبد الحي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد

فقد كنت أعددت ردا على اتهام المدعو سامح أبي يحيى لشيخِ الإسلام ابن القيم والإمام ابن كثير رحمهما الله، ودعواه أنهما فعلا فعلا من جنس فعلته حين نقل الكتب والبحوث من غيره دون عزو لهم!!

ثم قرأت أن أخي أبا حمزة مدحت العسقلاني قد أعد ردا على نفس النقطة، فتواصلنا منعا لتكرار الرد ، فراسلني أخي مدحت بما كتب، وراسلته بما كتبت، وقد أعجبني جدا ما وجدت من توافق كبير في فحوى الرد ، فرأينا أن ننشر مقالا واحدا، أكتب كلامي مسبوقا بـ "قال أبو جويرية" ، وأضيف فيها زيادات أخي مدحت مسبوقة بـ "قال أبو حمزة" :

قال سامح بن محمد في محاضرته الموسومة بالذلة والصغار على الجهلة الأغمار :

((كثير من الناس أطلقوا، إفراط وتفريط، قالوا: إن ابن القيم –رحمه الله- سرق كتاب الحيوان للجاحظ، الجاحظ هو من هو الجاحظ معتزلي، فقالوا سرق كتاب الحيوان للجاحظ، الفريق الثاني قالوا لا لم يسرق كتاب الحيوان للجاحظ، إذ كيف لابن القيم أن يأخذ كتاب الجاحظ؟!!، طيب أهذا صواب أم هذا صواب؟!!

قال سامح: كلاهما أخطأ لأنه ليس كل كتاب مفتاح دار السعادة من الجاحظ))

قال أبو جويرية: هذا الكلام أولا لا يستقيم إلا بوجه واحد مفاده أن سامح يقول: ((ابن القيم لم يسرق كتاب الجاحظ كاملاً، إنما سرق فصولا منه))

ذلك أنه قسم الناس بحسب كلامه إلى فريقين:

فريق قال ابن القيم سرق كتاب الحيوان للجاحظ!!

الفريق الثاني قالوا لا لم يسرق كتاب الحيوان للجاحظ!!

وقد خطأ سامح الفريقين!!

فأما الفريق الأول، فنحن وسامح متفقون على كونه أخطأ!!

وأما الفريق الثاني: فأي خطأ وقعوا فيه حين نفوا السرقة عن الجاحظ؟!!

ليس ثمة جواب سوى أنه يريد أنه سرق بعض الكتاب دون البعض الآخر!!

فإن قيل بل هو ينفي أنه سرق الكتاب كاملا، قلنا: وهذا هو صريح قول الفريق الثاني ممن خطأهم سامح ونقل قولهم فقال: ((الفريق الثاني قالوا لا لم يسرق كتاب الحيوان للجاحظ))

فلم يبق إلا أنه يريد أنه سرق بعض الكتاب لا كل الكتاب!!

لذا قال سامح: ((كلاهما أخطأ لأنه ليس كل كتاب مفتاح دار السعادة من الجاحظ وإنما نقل ابن القيم –رحمه الله- بعض الفصول في عجائب الخلق والحيوانات من كتاب الجاحظ حرفا بحرف ولم يعزوه إليه)))) [الذلة والصغار الدقيقة ٢٢/١]

قال أبو جويرية: وهذا من كذب سامح على الإمام ابن القيم، فأي شئ نقله ابن القيم من الجاحظ، وقد رجعت لكلام ابن القيم وكتاب الحيوان للجاحظ وبحثت عن تلك الفصول المنقولة بحروفها كما قال سامح فما وجدت شيئا من تلك الفصول!!

فتعجبت جدا مما يقول!!، إلهذا الحد يصل الافتراء على العلماء؟!! لينسب لهم ما هم منه براء!!

يؤكد هذا أن ابن القيم في مفتاح دار السعادة في هذا الفصل الخاص بعجائب الخلق والحيوان تجده ينقل ما استفاده من كتب الحيوان ويعزو لها إجمالا، ومن أمثلة ذلك:

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة ٢/٢١٧: ((بل كثير من الْحَيَوَان يعرف أَوْقَات الْمَطَر والصحو وَالْبرد وَغَيره كَمَا ذكره النَّاس فِي كتب الْحَيَوَان))

وقال في ٢٥١/ ١: ((وَقد ذكر فِي بعض كتب الْحَيَوَان ان من فِيهِ الى صماخه منافذ فَهُوَ يصب المَاء فِيهَا بِفِيهِ ويرسله من صماخيه فيتروح بذلك كَمَا يَأْخُذ الْحَيَوَان النسيم الْبَارِد بِأَنْفِهِ ثمَّ يُرْسِلهُ ليتروح بِهِ))

وقال في ١/٢٣٨ : ((وَقد ذكر فِي كتب الْحَيَوَان ان فروج الفيلة فِي اسفل بَطنهَا فَإِذا كَانَ وَقت الضراب ارْتَفع ونشز وبرز للفحل فيتمكن من ضرابها))

قال أبو حمزة: ((ثبّت العرش ثم انقش يا أخ سامح، فقد ذكرتَ مقدمة وبنيت عليها أحكاما وغفلت أو تغافلت عن الإتيان بالبيّنة التي تؤيد ما ادعيته على ابن القيم رحمه الله، فأين الدليل على زعمك بل كذبك وافترائك أن ابن القيم أخذ بعض الفصول! في عجائب الخلق والحيوانات من كتاب الحيوان للجاحظ [حرفا بحرف] ولم يعزها إلى الجاحظ لأجل عقيدة الجاحظ؟ فإن لم تأت بالدليل –وأنّى لك- فأنت تكذب على ابن القيم رحمه الله تعالى، فوجب عليك أن تتوب من ظلمك للإمام رحمه الله وتُصلح وتُبيّن، هذه واحدة.))

قال سامح –هداه الله- : ((ابن القيم حينما ذكر هذا ولم يذكر الجاحظ لعلة، لا لأنه أخذ الكتاب كله هذا كذب، ولا لأنه لا يجوز على الإطلاق، لا، ولكن لأن الجاحظ معلوم عقيدته، ابن القيم إمام لو أنه ذكر اسم الجاحظ المعتزلي هذا، إذن يعني ذلك أنه ينقل عن الجاحظ، إذن الجاحظ إمام فما الضير أن تأخذ من عقيدته؟!)) [الذلة والصغار الدقيقة ٢٢/١]

قال أبو جويرية: وبالرجوع لكتاب مفتاح دار السعادة وجدنا أن ابن القيم عزا للجاحظ حال النقل عنه!!

فقال في صفحة ٢٣٠ / ١ : ((وَقد اخْتلف النَّاس فِي ايهما انفع وافضل وصنف الجاحظ فِي المحاكمة بَينهمَا مجلدا فَأطَال فِيهَا الْحجَّاج والتفضيل من الْجَانِبَيْنِ وَفصل النزاع فِي ذَلِك...))

فما رأيك أيها الأصولي في هذا الكلام؟!!

أضاف أبو حمزة: ((ذكر ابن القيم -رحمه الله - فوائد تتعلق بالخلق والحيوانات وعزاها إلى الجاحظ في عدة مواضع منها:

في شفاء العليل لابن القيم، دار الكتب العلمية ص١٢٩: ذكر ابن القيم قصة الرجل الذي كان له زوج حمام مقصوص وزوج طيّار، فذكر القصة وقال في أولها: " ومن عجيب أمرها ما ذكره الجاحظ..."، والقصة ذكرها الجاحظ في كتابه الحيوان ج٢/ ٣٣٤.

أيضا في شفاء العليل لابن القيم، دار الكتب العلمية ص١٢٩، ١٣٠: ذكر ابن القيم قصة الرضيع الذي حبا إلى كلبة كانت بدار أهله فأمكنته من أطبائها فمصّها، وعزاها ابن القيم إلى الجاحظ، وهي في كتاب الحيوان للجاحظ ج٢/ ٣٣٤.

في روضة المحبين، دار الكتب العلمية ص١٠٠، ذكر قول الجاحظ في معنى العشق، بل نقل عن أفلاطون وأرسطو وغيرهما.

في زاد المعاد، مؤسسة الرسالة ج٤/ ٣٤٢، تكلم ابن القيم عن لحم المعز فذكر قول الجاحظ الذي ذكره له بعض الأطباء، وهو في كتاب الحيوان للجاحظ ج٥/ ٢٤٥))

قال أبو حمزة: ((ابن القيم رحمه الله تعالى ردّ على الجاحظ في أمر يتعلق بعقيدته كما في شفاء العليل ص٢٩٤، وما بعدها في الباب العشرين: مناظرة بين قدري وسني، وأبطل رحمه الله قول الجاحظ الذي استدل به القدري، ومفاد هذا القول أن العبد يحدث أفعاله من غير إرادة منه وإنما بقدرته وعلمه بما في الفعل من الملاءمة...الخ، فردّ ابن القيم على كلام الجاحظ وأبطله

مما سبق يتبيّن للمنصفين بطلان ما نسبه سامح إلى الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، فلم يأخذ بعض الفصول [حرفا بحرف] دون عزو إلى الجاحظ، وإنما ذكر بعض الفوائد وعزاها إلى الجاحظ مع ردّه على الجاحظ في عقيدته، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل))

قال أبو جويرية: فأي شئ يريده أبو يحيى من تلك التهم المعلبة للعلماء؟!!

يريد أن يبرر لنفسه سرقاته العلمية فيوهم طلابه أن ابن القيم وغيره من العلماء والأئمة، ممن أضاء علمهم الأمة، يفعلون مثله وينقلون جهد غيرهم متعمدين ذلك!!

فتراه ينقل مثلا صفحات نقلها ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية في موطن أو موطنين أو أكثر، وكذا فعل مع ابن كثير في مقدمة التفسير، ليوهم الناس بل يصرح أن هذه هي طريقة السلف في التصنيف!!

فأقول:

أولا: لنأخذ رأي ابن القيم نفسه في هذا الأمر، وهل يرى ابن القيم عن عدم عزو الفائدة لقائلها أمر سائغ أم ماذا؟!!

قال الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد ١٤١/١ عند ختامه لتفسير سورة الكافرون: ((فهذا ما فتح الله العظيم به من هذه الكلمات اليسيرة والنبذة المشيرة إلى عظمة هذه السورة وجلالتها ومقصودها وبديع نظمها من غير استعانة بتفسير ولا تتبع لهذه الكلمات من مظان توجد فيه بل هي استملاء مما علمه الله وألهمه بفضله وكرمه **والله يعلم أني لو وجدتها في كتاب لأضفتها إلى قائلها** ولبالغت في استحسانها))

وقال الإمام ابن القيم فى بدائع الفوائد ٨٩/٢ : ((فتأمل هذه المعاني التي لا تجدها في كتاب وإنما هي روضة أنف منح العزيز الوهاب فهمها وله الحمد والمنة وقد ذكرنا من هذا وأمثاله في كتاب التحفة المكية **ما لو وجدناه لغيرنا لأعطيناه حقه من الاستحسان والمدح** ولله تعالى الفضل والمنة) [1].

فهذه هي طريقة ابن القيم التي قررها بقلمه، وبينها في كتبه، وأشهد عليها ربه، فكيف تترك هذا المنطوق الواضح، وتحتج بمفهومك لفعل صدر منه على خلاف الأصل يا سامح؟!!

يقول سامح متحديا: إذن عليكم أن تقولوا إن فعله سرقة؟!!

قلنا: نحن نقول إنها ما تسمى سرقة علمية إلا إذا تعمدها الكاتب وقصدها، دونما علة تمنعه من العزو، فكيف نطلق على الفعل سرقة وهو ما تعمده ؟!!

ثانيا: فإن قلتم مادامت هذه طريقة ابن القيم وهي إضافة الفائدة لقائلها، وقد أتيناكم بصفحات كاملة ترك العزو فيها، فإذن هو متناقض!!

قلنا بل يقال -إن ثبت ما قلتموه- : فهذا قد يقع سهوا من ابن القيم أو من النساخ، ولا تناقض، وكذا القول في ما احتججتم به من كلام ابن كثير.

١ أفادني بها الأخ أبو المنذر إسلام عربي -جزاه الله خيرا-

ثالثا: نقول: بل يلزمكم أنتم التناقض، لأنه على قولكم أن النقل بغير عزو هو طريقة متبعة عند ابن القيم، وابن القيم يقول بنفسهعن الفائدة: ((والله يعلم أني لو وجدتها في كتاب لأضفتها إلى قائلها ولبالغت في استحسانها)) فعليه يكون ابن القيم متناقضا إن سلمنا بقولكم.

رابعا: يؤكد هذا أن ابن القيم كثيرا ما يعزو لشيخه الذي يعتز به في مؤلفاته وكتبه، وكذا يعزو لغيره من أهل العلم، فكيف تحتج بموطن أو موطنين وتجعلها طريقة السلف؟!!

لو كانت طريقة السلف في التصنيف ترك العزو لرأينا اكثر كلامهم بدون عزو!!

وكذا يقال فيما نقله ابن كثير في مقدمة التفسير.

فإلى الشيخ الأصولي :

- أيهما نقدم: منطوق شيخ الإسلام ابن القيم، أم مفهومك أنت من فعله؟!!
- وما الفرق بينك في هذا وبين من يحتج بجواز الخروج بفعل وقع من بعض التابعين؟!!
- بل ما الفرق بينك وبين من يحتج علينا بفعل بعض العلماء حين زاروا بعض المبتدعة مؤخرا، مع أن فعلهم خلاف منطوقهم وتأصيلهم؟!!

أقول هذا الكلام نصيحة لإخواني، وإتماما لما بدأت به بياني، والله يعلم أنه لولا حرصي عليهم، ولولا طلب بعض المنصفين منهم، لما أتممت تلك الردود، على مثل هذا الكذوب اللدود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو حمزة مدحت العسقلاني

أبو جويرية محمد عبد الحي

وكان الفراغ منه ٢ ربيع الأول ١٤٣٨